

نقد كتب

الإسلام يتحدّى (مدخل علمي إلى الإيمان) لوحيد الدين خان

د. زغلول النجار *

يشتمل الكتاب ^(١) الذي يقع في ٢٨٧ صفحة على أبواب تسع بالاضافة إلى تمهيد وفهرس وتقديم للمراجع ، وفيما يلي عرض موجز لما ورد في كل من هذه الأبواب :

الباب الأول : قضية معارضي الدين :

بدأ المؤلف هذا الباب بجملة مقتطفة عن جوليان هكسلي أحد الذين حملوا لواء الالحاد في هذا العصر ، وانتقل بعد ذلك إلى تقسيم تطور الفكر الانساني كما أورده أوجست كنت ثم عرج إلى تلخيص الحجج التي يستند اليها معارضو

* استاذ ورئيس قسم الحيولوجيا بجامعة الكويت .

(١) تأليف المفكر المسلم المعاصر وحيد الدين خان ، تعريب ظفر الاسلام خان ، مراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين ، نشر دار البحوث العلمية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م الطبعة الأولى ، والاشارة هنا الى الصفحات وفقاً لهذه الطبعة الأولى .

الدين وأولها ما هو مستمد من بعض المشاهدات في مجال العلوم البحتة ، وأساسه الظن الخاطيء الذي أشاعه بعض الكتاب بعد اكتشاف عدد من قوانين الطبيعة فتنادوا بأنه « اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة » .

وثانيها مستمد من بعض الاستنتاجات في مجال العلوم النفسية والتي بنيت على شعار باطل مؤداه « أن الدين نتاج اللاشعور الانساني ، وليس انكشافاً لواقع خارجي » .

وثالثها مستمد من « التاريخ حيث نادى معارضو الدين خطأ بان الدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته ، وأن القضايا الدينية ما وجدت الا لأسباب تاريخية أحاطت بالانسان ، وأن كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الأخير من صنع الظروف الاقتصادية » .

وقد جاء عرض هذه القضايا بصورة موضوعية متجردة ، في محاولة لطرح القضية على بساط من الحيدة وهنا أود أن أقول انه ربما كان من الأفضل لو استهل الكاتب هذا الباب باستعراض تاريخي موجز لقضية الدين عبر التاريخ بدلا من بدئه من نقطة المعارضين مباشرة ، فالإيمان سابق على الكفر وهو فطري في النفوس ، أما المروق والكفر والاتحاد فهي حالات مرضية عارضة في تاريخ الانسانية مردها الهوى والاستهتار والرغبة في الخروج على كل ما ينظم حياة البشر ، ومن أسبابها الرئيسية موقف الكنيسة في العالم الغربي بصفة خاصة من رجال العلم في القرون الوسطى وحتى مطلع القرن العشرين ، مما أوجد عدااء تقليديا بين كثير من المفكرين والمشتغلين بالعلوم وبين الدين .

الباب الثاني : نقد قضية المعارضين :

وهنا يرد المؤلف على الحجج التي أوردها في الباب الأول فيذكر في رده على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم البحتة بأن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له بينما الدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية

التي تدور وراء الكون وعلى ذلك فان اكتشافات العلوم لا تتوصل الا لبعض صور الهيكل الظاهري للكون ولا تستطيع ان تنفذ إلى ما وراء ذلك ، وأن العلم لا يكشف لنا كيف صارت وقائع الكون قوانيننا ؟ ولا كيف قامت هذه الوقائع بين الأرض والسماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة حتى أن العلماء استطاعوا أن يستنبطوا منها قوانينهم العلمية ؟ والحقيقة ان ادعاء الانسان بعد كشفه لبعض قوانين الطبيعة انه قد اكتشف سر الكون ليس سوى خدعة لنفسه فان الطبيعة لا تفسر شيئاً من الكون وانما هي نفسها بحاجة إلى تفسير ، وفي ذلك يقول الأستاذ هاريس في نقد نظرية النشوء والارتقاء « ان الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية بقاء الأصلح ولكنه لا يستطيع ان يفسر حدوث هذا الأصلح » .

ثم ناقش حجج المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم النفسية وادعاءهم دون استدلال واضح على « أن الاله والآخرة قياس للشخصية الانسانية وأمانيتها على مستوى الكون » ، وأردف أن من معائب الفكر الحديث انه يستنبط من حادث عادي دليلاً غير عادي وان اللاشعور الانساني في أصله فراغ ، لا شيء فيه قبل مولد الانسان ، وانما يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن لأن اللاشعور ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي جمعها الانسان أو شاهدها خلال حياته ، وعلى ذلك فمن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعملها من قبل ، والذي يثير الدهشة أن الدين الذي جاء على السنة الانبياء يشتمل على حقائق أبدية لم يشاهدها أحد من الناس ، فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات فمن اين يأتي بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا سبيل لهم إلى العلم بها الا بوحى من السماء . ويضيف أن الدين الذي جاء به الأنبياء يتصل من ناحية أو أخرى بجميع العلوم المعاصرة في عرض صادق لم يستطع أحد ان يدل على باطل جاء فيه ، بينما كل حديث في التاريخ الانساني مصدره الشعور فضلاً عن اللاشعور لا يخلو من الاغلاط والادلة الباطلة ولقد مرت قرون

اثر قرون أبطل فيها الآخرون ما ادعى الأولون وما زال صدق كلام النبوة
باقياً على الزمن .

ورداً على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية التاريخ يذكر المؤلف ان
خطأ هؤلاء الرئيسي أنهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح لأنهم يتناولونه على
انه مشكلة موضوعية بينما الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع كاملة أو ناقصة
أو يرفضها ويبقى الدين في جميع هذه الأحوال حقيقة واحدة في ذاتها .

وناقش المؤلف تباين افكار الباحثين الاجتماعيين بين فكرة تعدد الالهة
إلى فكرة دين الاله الواحد إلى فكرة الدين بغير الاله وادعاءهم ان فكرة الاله
شكل ارتقائي لفكرة تعدد الالهة ويبين أن هذا خلط واضح حيث ان الوحدانية
أقدم بكثير من فكرة الشرك . وتعرض بعد ذلك لفكر ماركس وتهجمه غير
المنطقي على الدين ونفيه ارادة الانسان وإحالة الأحداث كلها إلى تأثير عوامل
الزمن الاقتصادية ورد المؤلف على ذلك أن حقيقة الدين وسفسطة المعارضين
تتجلى بوضوح حين نطالع صورة الحياة الانسانية في ضوء الدين ونطالعها في
الصورة التي يرسمها لها المعارضون لفكرة الدين ، فصورة الحياة الانسانية في
ضوء الدين صورة جميلة لطيفة ، تتوافق مع افكار الانسان السامية كما يتوافق
الكون المادي مع القوانين الرياضية بعكس الصورة التي يرسمها معارضوا
الدين . فالكون في ضوء الفكر المادي يكاد يفقد اهدافه كلها ولا يبقى غير
الظلام الحالك الذي تتلاشى فيه معايير الخير والشر أما الفكر الديني فهو فكر
الضوء والأمل ، الموت والحياة فيه مرتبطان بأهداف معينة ، وكل القيم والأفكار
الانسانية السابقة تجد لها مكاناً فيه ، واذا كان بعض العلماء يطمئن إلى أنه قد
توصل إلى الحقيقة بمجرد تصديق القوانين الرياضية لأفكاره ، فان تصديق
العقل الانساني للدين للدليل قطعي على انه الحقيقة التي طالما بحثت عنها الفطرة
الانسانية ، وعندئذ لا نجد أساساً واقعياً لانكار قيمة الفكر الديني . الا أنه يبدو
كما يقول سير جيمس جينز ان في عقول المعارضين تعصباً يرجع التفسير المادي
للحقائق وضرب المؤلف أمثلة عديدة على ذلك منها قول سير آرثر كيث « ان

نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً ، ولا سبيل إلى اثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها الا لان الخيار الوحيد بعد ذلك هو الايمان بالخلق الخاص مباشرة ، وهذا ما لا يمكن حتى مجرد التفكير فيه « وفي الرد على ذلك التعصب الاعمى يقول العالم الأمريكي جورج بلونت « ان كون العقيدة الالهية معقولة ، وكون انكار الاله سفسطة لا يكفي ليختار الانسان جانب العقيدة الالهية ، فالناس يظنون ان الايمان بالله سوف يقضي على حريتهم ، تلك الحرية العقلية التي استعبدت عقول العلماء واستهوت قلوبهم ، وعلى ذلك فان أية فكرة عن تحديد هذه الحرية مثيرة للوحشة عندهم » .

ولم يخل هذا الباب من بعض الأخطاء وأهمها :

١ - لا يوجد شيء اسمه حقيقة الطبيعة (ص ٤١ السطر السادس) لأن الحقيقة لا يعلمها الا الله أما مشاهدات الناس فهي مجرد محاولة للتفسير ثم ان لفظة الطبيعة ليست ترجمة دقيقة لكلمة nature بالانجليزية فمرادفها الحقيقي هي كلمة الفطرة .

٢ - ان الدليل الذي ذكر في (ص ٤١ السطر السابع) باسم البيولوجيا هو قانون ينطلق من العلوم البحتة بصفة عامة وليس باسم البيولوجيا كما ان المثل الذي أورده في صفحة ٤٨ ، ٤٩ على لسان برستد لا محل له في مجال المناقشة خاصة وان المؤلف لم يورد ردا على افتراءات برستد وان هناك كثير من الردود العلمية في هذا المجال سبق بها القرآن كل الاكتشافات الحديثة وما كان أجدر المؤلف أن يورد في هذا المقام بعضا منها بدلا من استدلاله بافتراءات برستد .

كما كان من الأفضل أن يوضح بجلاء موقف الفكر العلمي الحديث من الدين ورد ذلك الموقف الى الاضطهاد الذي لقيه العلم والعلماء في اوربا ابان القرون الوسطى والى حب الناس أحيانا في اتباع أهوائهم مما يجعلهم يحاولون التخلص من أي قواعد تضبط تصرفاتهم وتنظمها وهم لا يستشعرون أن في ذلك هلاكا لهم .

الباب الثالث : طريقة الاستدلال العلمي :

استعرض المؤلف طريقة الاستدلال العلمي وخصها بمحاولة التعرف على الحقيقة بالتجربة والملاحظة والاستنتاج بينما تتصل عقائد الدين بعالم ما وراء حواسنا ولا يمكن إخضاعها للتجربة ثم استطرد إلى تعريف التجربة والقياس وان هناك من الحقائق ما هو محسوس مدرك ومنها ما هو مستنبط غير مدرك وان حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل والكثير منها مستنبط على طريق التعليل وهذا المنهج صحيح لان الكون نفسه عقلي فالكون كله مرتبط ببعضه ببعض ، حقائق متطابقة ونظامه عجيب ولهذا فان أية دراسة للكون لا تسفر عن ترابط حقائقه وتوازنها هي دراسة باطلة واستشهد بذلك بتعبير ماندلر « ان القول بأننا عرفنا الحقيقة يعني اننا عرفنا معناها ، وبعبارة أخرى اننا بحثنا عن وجود شيء ما وعن أحواله ففسرناه واكثر معارفنا العلمية تدخل في هذا النطاق فهي في الحقيقة تفسيرات للملاحظة » ويستطرد فيقول « عندما نذكر ملاحظة فاننا نقصد شيئاً اكثر من الملاحظة الحسية المحضة فمعناها الملاحظة الحسية والتعرف بما يشمل جانب التفسير » .

ثم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة مشكلة تعيين حقائق الأمور وفي ذلك يقول بان الدين والعلم كلاهما يعتمد على الايمان بالغيب غير ان دائرة الدين تتعلق بتعيين حقائق الأمور نهائياً وأصلياً أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية واستشهد في ذلك بقول سير آرثر دنجتن « وهكذا نجد لكل شيء صورة ذات وجهين احدهما ملحوظ والاخر صورة فكرية لا سبيل إلى مشاهدتها بأي مكرسكوب او تلسكوب » والوجه الأول يشاهده العلم غير أنه لا يستطيع ان يدعي انه يشاهد الوجه الآخر . وعندما يجتمع لدى عالم من العلماء قدر مناسب من الحقائق الملحوظة فانه يحس بضرورة وضع نظرية أو فرض علمي « اي فكرة اعتقادية وجدانية » تقوم بتفسير الملاحظات وربط النتائج بعضها ببعض فاذا نجحت هذه الفكرة في تفسير المشاهدات تفسيراً كاملاً عدت حقيقة علمية برغم انها لم تلاحظ قط كما لوحظت غيرها من الحقائق

بالمشاهدة ومعنى ذلك ان العالم التجريبي يؤمن بوجود شيء غائب بمجرد ظهور نتائجه وآثاره وهذا ما نسميه الايمان بالغيب وبمعنى آخر فان النظريات العلمية ما هي الا صور ذهنية لتفسير القوانين المعلومة هذا بالاضافة الى ان المشاهدة الانسانية لا يمكن ان توصف بالكمال وبالتالي فان جميع الاستنتاجات العلمية يمكن ان تتغير وتتطور الملاحظة وهنا يقال بان النظريات العلمية الصحيحة ما هي الا فروض عملية ناجحة وعلى ذلك فان تفسير الدين للطبيعة هو عين الحق وهو تفسير لم يتغير ولن يتغير على مر الدهور على حين انه ما من نظرية صاغها الانسان الا وطورت أو غيرت أو رفضت وان صدق الدين ليتجلى بعد كل خطوة بخطوها العالم في الملاحظة حتى ليصبح كل كشف علمي جديد تصديقاً لحقائق الدين .

ومن الأخطاء الواردة في هذا الباب اطلاق كلمة حقيقة على التجربة والقياس (ص ٦١ السطر ٧) (وصفحة ٧٠ السطر ٣ و ٧١ السطر ٥) وبما حبذا لو حلت كلمة الظواهر محل الحقائق في الصفحتين الأخيرتين كما ان عرض نظرية التطور العضوي في الصفحات ٦٦ - ٦٨ قد تم بصورة غير متكاملة ، ولو أن الموضوع كبير الا أنه كان من الممكن تلخيصه بصورة أفضل .

الباب الرابع : « الطبيعة تشهد بوجود الله » :

حاول المؤلف اثبات ان الكشوف العلمية المؤكدة هي في ذاتها تصديق لحقائق الدين ، وفي ذلك بدأ باستعراض نظرية التشكيك في الوجود وانتهى بأن هذه الفكرة بكل ما تتضمن من الجهالة وانعدام الواقعية فكرة لا معنى لها في ذاتها ولم تحظ بقبول في دنيا العلم ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الوجود والخلق فذكر ان الانسان يؤمن بأن له وجوداً وبأن للكون أيضاً وجوداً وعلى هذا الأساس تقوم جميع ألوان النشاط العلمي والحيوي وأردف بانه إذا آمناً بوجود الكون فلا بد ان تؤمن بخالق هذا الكون اذ لا معنى ان تؤمن بالمخلوق ونرفض وجود الخالق فكل شيء عظم أو صغر وراءه علة فكيف يمكن ان يجيء كون

عظيم مثل كوننا ذاتيا دون خالق ؟ وعرج من ذلك على موضوع ازالة الخالق سبحانه وتعالى وعدم ازالة المادة . وفي التدليل على حدوث المادة استشهد بقوانين الديناميكا الحرارية خاصة قانون الطاقة المتاحة والذي يثبت إنه لا يمكن ان يكون وجود الكون ازلياً حيث ان الحرارة تنتقل دائماً من وجود حراري إلى وجود غير حراري والعكس غير ممكن وبالتالي فلا بد ان سيأتي وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات فلا تبقى أي طاقة كافية للحياة فتنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية وبانتهائها تنتهي الحياة وبهذا فقد ثبت أن لهذا الكون نهاية وكل ما له نهاية لا بد وان له بداية وان له خالقاً عظيماً فكل ما له بداية لا يمكن ان يبتدي بذاته بل لا بد له من المحرك الأول الخالق الباريء المصور .

ثم عرج المؤلف بعد ذلك على الكشوف الفلكية وتحدث عن اتساع الكون وعظمته ثم على المجموعة الشمسية التي تنتمي اليها أرضنا وشمسنا وقمرنا ومكوناتها وتحدث عن تعقد الكون ودقة نظامه وانضباط حركته مما يؤكد بأن هناك قوة مبدعة تهيمن على ذلك النظام العظيم .

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن بعض الانظمة المعقدة في الكون فأشار إلى أن الذرة وهي وحدة بناء المادة مبنية على نفس نظام المجموعة الشمسية وان هذا النظام يستحيل قيامه بنفسه . وهو في ذاته دليل واضح على وجود منظم قائم على هذا الكون . وكذلك الجهاز العصبي في الانسان فانه غاية في الاعجاز وعلى سبيل المثال فان بلسان الإنسان ثلاثة الاف من شعيرات التدوق لكل منها شعيرة عصبية خاصة متصلة بالمشخ كما توجد في الاذن عشرة الاف خلية سمعية وفي كل عين مئة وثلاثون مليوناً من الخلايا الملتقطة للضوء وبالجلد ثلاثون الفاً من الخلايا الملتقطة للحرارة وربع مليون من الخلايا الملتقطة للبرودة وثلاثة ملايين من الغدد العرقية ، كذلك فان الجهاز العصبي في جسم الانسان ينقسم إلى عدة فروع منها المتحرك ذاتياً ومنها ما هو غير ذلك والنوع الأول يسيطر على الأعمال التي تحدث ذاتياً في جسم الانسان كعملية الهضم والتنفس

ونبضات القلب وغيرها ويندرج تحت هذا النوع نظامان أحدهما موجد للحركة والآخر مانع لها وهذان النوعان يباشران عمليهما في دقة فائقة فالنظام الأول يتغلب عند زيادة النشاط واحتياج القلب إلى قوة مسعفة فتزيد سرعة عمليات القلب والريئة ، بينما يسود النظام الثاني عند النوم حين تهدأ جميع المحركات الجسدية ولو تغلب النظام الأول في وقت ما لازدادت حركة القلب زيادة يترتب عليها موت صاحبه ولو سيطر النظام الثاني لتوقفت حركة القلب توقفاً تاماً . فمن الذي أحكم صنع ذلك؟؟

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن كون الاختراعات العلمية في مجموعها هي محاكات لنماذج حية في الطبيعة وضرب أمثلة كثيرة منها تشابه آلة التصوير بعين الانسان وأجهزة الرادار وغيرها من أجهزة التقاط الذبذبات تحت صوتية بما يملكه كثير من الكائنات الحية وفي ذلك يقول المؤلف اذا كانت أجهزة التصوير وغيرها لا يمكن وجودها بغير عقل انساني فمن المستحيل ان نتصور ان نظام الكون الذي هو اكثر تعقيداً من أي نظام آخر — قد قام بنفسه بغير عقل ورائه بل لا بد له من خالق عظيم هو الله .

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن أن الكون متوازن ومتناسب إلى حد لا يمكن تصوره وعلى سبيل المثال فان الحياة على كوكبنا الأرض تحتاج إلى ظروف خاصة من المستحيل رياضياً اجتماعها بنسبها المحددة — بمحض الصدفة وهذا وحده يؤكد ان هناك عقلاً عظيماً وراء هذا الكون هو الذي أوجده وهو الذي يرعاه فحجم الكرة الارضية اختيار بحكمة بالغة ولو ان هذا الحجم نقص أو زاد عن حجمه الحالي لاستحالت الحياة فوق الأرض كما أن مجرد وجودنا على سطح الأرض وهي تدور بسرعتها الهائلة معجز في حد ذاته حيث لا يمكننا إلبها الا جاذبيتها وضغط الهواء عليها ولولا هاتين القوتين لما أمكن تواجد اي مخلوق على سطح الارض ثم ان وضع الارض من الشمس ومن الكون ومدة دورانها حول محورها وميل محورها وتكون غلافها الغازي والمائي وسمك قشرتها واعماق بحارها وسمك غلافها الغازي وتركيبه المحدد كل ذلك مصمم

بحكمة بالغة وتدبير محكم .. فلولوا الغلافين المائي والغازي لما أمكن أن تتواجد حياة على الأرض ولو كان سمك قشرة الأرض أكثر قليلاً من سمكها الحالي لما وجد الاكسجين في غلافها الجوي وبدونه تستحيل الحياة ... ولو كانت البحار أعمق قليلاً لانجذب ثاني اكسيد الكربون والاكسجين إلى تلك الأعماق وانعدمت الحياة على الأرض ... ولو قل سمك الغلاف الغازي لاحرقتنا النيازك التي تقذف الأرض بأعداد هائلة سنوياً بسرعات هائلة ولما أمكن حماية الحياة على الأرض من الأشعة الكونية ولما امكن الاحتفاظ للأرض بمتوسط حرارتها الثابت كذلك فان تركيب الغلاف الغازي معجز في حد ذاته فلو قلت نسبة الأكسجين مثلاً قليلاً لما امكنت الحياة ... ولو زادت قليلاً لكان بإمكان عود ثقب ان يشعل الكرة الأرضية ... واستشهد المؤلف أيضاً بقلّة كثافة الثلج عن كثافة الماء مما يحفظ البحار والأنهار من التجمد الكامل في فصل الشتاء وبالتالي يبقى على الحياة المائية تحت الجليد ، وتحدث أيضاً عن الاتزان الدقيق بين مجموعات الحياة الحيوانية والنباتية

واستخلص أن هذا كله يشير إلى ما أسماه بقانون الضبط والتوازن. وفي ذلك يستشهد بقول أحد علماء الطبيعة « ان العلم لا يملك اي تفسير للحقائق والقول بأنها حدثت بالصدفة انما يعتبر تحدياً وانكاراً للحسابات الرياضية » .

وتحدث الكاتب عن السنن الرياضية المحكمة في الكون وأضاف أنه لو لم يكن هذا النظام والضبط في المادة وعمليات الطاقة لما وجد الانسان أسساً يقيم عليها كشفه ومنجزاته العلمية ولما أمكن التنبؤ بحدث من الاحداث ولا بنتيجة من النتائج لان الأساس في التنبؤ العلمي هو النظام الدقيق والاضطراد في العمليات المحددة واستشهد في ذلك بالجدول الدوري للعناصر وقال ان الترتيب المحكم لصفات العناصر المختلفة في ذلك الجدول لا يمكن أن يوصف بالصدفة وانما هو قانون محكم ، احكمه الذي خلق العناصر ووهبها هذه الدورية في الصفات وأضاف بأن عدم ايمان العلم الحديث بالاله هو في الواقع انكار لكشفه العلمية فالنظام في الكون غاية في الدقة والإحكام من الذرة إلى قطرة

الماء إلى الكواكب والنجوم والمجرات في أجواز الفضاء نظام نستنبط على أساسه قوانيننا العلمية التي نستخدمها في تسخير الطبيعة وعمران الأرض .

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن أن معارضي الدين يسلمون بالنظام العجيب والحكمة غير العادية في هذا الكون ولكنهم يفسرونها بأنها جاءت نتيجة للصدفة المحضة إلا أن علوم الرياضيات تؤكد أن عمر الكون وحجمه كما حددهما لنا العلم الحديث غير كافيين في أي حال من الأحوال لتسويغ إيجاد هذا الكون عن طريق الصدفة وضرب مثالا على ذلك بالجزيء البروتيني الذي تتكون منه كل الخلايا الحية وهو مركب كيميائي من خمسة عناصر هي الكربون والهيدروجين والأكسجين والكبريت . يشمل الجزيء البروتيني الواحد أربعين ألفاً من ذرات هذه العناصر ولما كان في الكون أكثر من مئة عنصر كيميائي فهل يمكن أن تجتمع هذه العناصر الخمسة بنسبها المحددة لتكون الجزيء البروتيني بمحض الصدفة ؟

لقد حسب الرياضي السويسري تشارلز يوجين جواي أن إمكانية تكون الجزيء البروتيني عن طريق الصدفة يتطلب مادة مقدارها بليون ضعف المادة الموجودة الآن في سائر الكون حتى يمكن تحريكها وضخها ، وأن المدة اللازمة لذلك تبلغ أكثر من 10^{24} سنة وهي تبلغ ملايين المرات ضعف عمر الأرض الحالي .

ثم أضاف بأن جزيء البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية يمكن تجميعها فيما يقرب من 10^{148} صورة ، وأخطر ما في العملية هو الطريقة التي تتحد بها هذه السلاسل بعضها مع بعض فأنها لو اجتمعت في صورة غير صحيحة لأصبحت سمّاً قاتلاً بدلاً من أن تصبح مادة حية . وإنه من المستحيل تماماً أن تجتمع هذه السلاسل بمحض الصدفة في صورة مخصوصة من هذه الصور التي لا حصر لها .. ثم يضيف أن الجزيء البروتيني ذو وجود كيميائي لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءاً من الخلية فهنا تبدأ الحياة ... ، وهذا الواقع يطرح السؤال التالي : من أين تأتي الحرارة اللازمة لاندماج الجزيء

البروتيني بالخلمية ؟ ولا يوجد لدى العلم التجريبي في الوقت الحاضر اجابة على هذا السؤال . وفي جسد كل فرد منا ما يربو على مئات البلايين من هذه الخلايا . فاين المادة والوقت اللازمين لتكوين كل هذه الخلايا ومادة الكون محدودة وعمره أيضاً محدود ؟ .

ومن ذلك يتضح ان المادة العادية غير ذات الروح تحتاج إلى عمر مضاعف إلى بلايين المرات من السنين وكتلة مادية مضاعفة إلى بلايين الأضعاف حتى يتسنى مجرد امكان حدوث جزئي بروتيني واحد بمحض الصدفة ، فكيف اذن وجدت هذه البلايين التي لا تكاد تحصى من صور الحياة والتي ينتظمها أكثر من مليون نوع من أنواع الحيوانات وأكثر من ربع مليون نوع من أنواع النباتات ؟ .. ثم كيف جاء من خلال هذه الانواع الحيوانية ذلك المخلوق الأعلى المسمى بالانسان كما تفترض نظرية النشوء والارتقاء على اساس من تغيرات تتم بالصدفة المحضه ؟ أن الرياضي (باتو) قد حسب ان اكتمال تغير جديد في جنس ما قد يستغرق مليوناً من الأجيال وفي ذلك يقول العالم الأمريكي مارلين ب كرايدر « ان الامكان الرياضي في توفر العلل اللازمة للخلق عن طريق الصدفة في نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء » .

وهذا الباب يعتبر من أروع ما ورد في الكتاب الا أن بعض الأخطاء قد وردت به ويمكن ايجازها فيما يلي :

١ - في ص ٧٥ السطر ١١ يذكر المؤلف « ونحن لا نعلم شيئاً جاء الى الوجود من العدم دون أن يخلق » وكلمة من العدم هنا لا معنى لها فאלله سبحانه وتعالى قد أوجد الوجود من العدم والا فكيف كانت له بداية ؟

٢ - في ص ٧٦ سطر ١٣ ، ١٤ يذكر المؤلف « فان عدم كفاءة عمل الكون يزداد يوماً بعد يوم » وهذا تعبير خاطيء تماماً فان الكون في كل لحظة من لحظات وجوده يعمل بكفاءة بالغة والا لما أمكنه أن يستمر في تواجده .

٣ - في ص ٧٨ السطر الثاني يذكر المؤلف « وان كل مجاميع النجوم والأجرام والأجسام الفلكية تتباعد بسرعة مدهشة بعضها عن بعض » والحقيقة أن الذي

يتباعد هو المجرات بينما يبقى حجم المجرات ثابتا وعلى ذلك فوضع الأجرام والأجسام الفلكية في داخل كل مجرة ثابت .

٤ - ص ٧٨ السطر الخامس والسادس يذكر المؤلف « ويقدر العلماء أن هذا الكون قد وجد نتيجة لانفجار فوق العادة وقع منذ ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة » . والحقيقة أن العمر الذي قدره العلماء هو للأرض التي نعيش عليها وليس للكون كله وان كان من المحتمل أن يكون عمر الأرض من عمر الكون الا أن هذا العمر المحدد يبلغ خمسة آلاف مليون سنة وليست خمسة ملايين مليون سنة وربما قد التبس الأمر على المؤلف نتيجة لاختلاف البليون الأمريكي وهو يساوي الف مليون عن البليون البريطاني الذي يساوي مليون مليون .

٥ - ص ٧٩ سطر ١ - ٥ كلام غير دقيق علميا ويمكن الاستغناء عنه .

٦ - ص ٧٩ سطر ٩ يذكر المؤلف « ان هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة . والحقيقة أن الجزء المعروف من الكون يبلغ قطره خمسة آلاف مليون سنة ضوئية وبالتالي فان محيطه أكبر بكثير من الألف مليون سنة التي ذكرها المؤلف .

٧ - ص ٧٩ سطر ٩ « يضاف الى ذلك أن هذا الكون ليس بمتجمد » والتعبير الصحيح انه ليس ثابت الحجم لأن لفظة متجمد لها دلالة أخرى .

٨ - ص ٨٠ الفقرتين الأولى والثانية غير دقيقتين علميا وعلى سبيل المثال وردت فيه كلمة كواكب بما يقصد به النجوم والفرق بينهما كبير جدا .

٩ - ص ٨١ السطر من ١٤ - ١٦ (والمجرة التي يقع فيها نظامنا الشمسي تدور حول محورها بحيث تكمل دورة واحدة في ٢٠٠ مليون سنة ضوئية » والحقيقة أن مجموعتنا الشمسية هي التي تستغرق ٢٠٠ مليون سنة لكي تتم دورة كاملة حول مركز مجرتها أما المدة اللازمة لدوران مجرتنا دورة كاملة فتقدر بأكثر من ذلك بكثير .

١٠ - ص ٨١ الفقرة الأخيرة و ٨٢ الفقرة الأولى الأرقام الواردة بها

خاطئة فالجزء المعروف من الكون يبلغ قطره خمسة آلاف مليون سنة ضوئية وان المجرة العظمى (التي تنتمي اليها مجرتنا) يبلغ قطرها ٤٠ مليون سنة ضوئية وسمكها بضع ملايين من السنوات الضوئية بينما يبلغ قطر مجرتها مائة ألف سنة ضوئية وسمكها نحو عشر ذلك . وبمجرتنا من النجوم ما يزيد عن المئة الف مليون نجم كما أن بالسماء من أمثال مجرتنا الف مليون مجرة وان أقرب المجرات اليها تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنة ضوئية بينما أقرب النجوم اليها يبعد عن الأرض بمقدار ٤,٤ سنة ضوئية .

١١ - ص ٨٤ السطر ١١ « وسنجد أن هذه الالكترونات لا تشغل أكثر من $\frac{1}{1000000}$ من مساحة الذرة » والصواب أن قطر الالكترون يبلغ $\frac{1}{100000}$ من قطر الذرة حيث لا يمكن مقارنة الالكترون بما يسمى مساحة الذرة إذ ليس لها في الحقيقة مساحة .

١٢ - ص ٨٤ سطر ١٢ - ١٤ « ولو أننا أخذنا صورة مكبرة بلخريثين من الالكترون والبروتون فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ٣٥٠ » هذا الكلام ناقص ولا معنى له علميا .

١٣ - ص ٨٥ السطر ١٥ « أن ملايين الأخبار تجري على أسلاك نظامنا العصبي - الذي أوجدته الطبيعة - من جانب الى آخر » إن جملة الذي أوجدت الطبيعة جملة خاطئة فالطبيعة لم توجد شيئا ولا تستطيع أن توجد شيئا .

١٤ - ص ٨٦ السطر ١٨ « ان ترجمة التعبير (sympathetic system) بالنظام الخالق للحركة ترجمة غير صحيحة فهو معروف باسم « النظام السمبتاوي » أو « النظام العاطفي » ، وفي السطر التالي وردت كلمة (para-sympathetic) بترجمة النظام المانع وترجمتها الحقيقية النظام شبه السمبتاوي .

١٥ - ص ٨٩ السطر ٩ « لا بد للحياة فوق الأرض من أحوال كثيرة يستحيل اجتماعها بنسبها الخاصة رياضيا » والصحيح انه يستحيل اجتماعها

بمحض الصدفة وكلمة أحوال ليست سليمة علمياً والصواب كلمة شروط جمع شرط .

١٦ - ص ٩١ سطر ٤ « ان يصير وزن الحيوان الذي يزيد رطلا واحدا »

وصوابها وزن .

١٧ - ص ٩٤ سطر ٤٠٣ « حتى جاءت الأرض في صورتها الحالية منذ أكثر من مليون سنة مضت وذهبت الغازات من فضاء الأرض الى فضاء الكون » وهذا التعبير خاطيء تماماً حيث أن الأرض تكونت منذ ٥ آلاف مليون سنة وان الغازات لم تذهب من فضاء الأرض الى فضاء الكون لأنها لو ذهبت لما كان هناك غلاف غازي للأرض .

١٨ - ص ٩٥ سطر ٣ « فلولا أن غلاف الأرض الهوائي يقينا من هذه الشهب لاحترقنا » والمقصود النيازك ، لأن الشهاب هو نيزك يحترق بالكامل نتيجة لاحتكاكه بالغلاف الغازي .

١٩ - ص ٩٧ سطر ٤ ، ٥ « تتركب معا فتصبح عناصر عظيمة الأهمية للحياة الحيوانية » ولفظة الحيوانية هنا زائدة لأن المركبات المشار إليها ضرورية للحياة بصفة عامة حيوانية كانت أم نباتية .

٢٠ - ص ٩٨ - الأمثلة التي ضربت على اتزان الحياة بصورة عامة على الأرض ليست كافية وهناك العديد من الأمثلة الأكثر دقة واستفاضة .

٢١ - ص ١٠٠ سطر ٧ كلمة « سنتجراد » من الأفضل أن تذكر درجة

متوسطة .

٢٢ - ص ١٠١ سطر ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٣ كلمة خريطة للعناصر الكيماوية

والخريطة الدورية، والخريطة يجب أن تستبدل باسم الجدول الدوري للعناصر .

٢٣ - ص ١٠٢ سطر ٦ كلمة « كورنفال » هي في الحقيقة كورن وول .

٢٤ - ص ١٠٢ سطر ١٣ « الكواكب السحيفة » يجب أن تقرأ المترامية .

٢٥ - ص ١٠٢ سطر ١٥ لفظة « الكرات الفلكية » يجب أن تقرأ الأجرام

الفلكية .

٢٦ - ص ١٠٣ سطر ٩ « التحليل الكيماوي » يجب أن تقرأ المركب الكيماوي .

٢٧ - ص ١٠٣ سطر ١٠ « لتحليل النيتروجين » وصحتها لتثبيت النيتروجين .

٢٨ - ص ١٠٤ سطر ١ « احتك الرعد في الفضاء » صحتها رعد الرعد .

٢٩ - ص ١٠٤ سطر ١٠ تنقص لفظة « تم » قبل كلمة اكتشافنا .

٣٠ - ص ١١٠ سطر ١٧ « عندما يندمج الجزء بالخلية » وصحتها لاندماج الجزء بالخلية .

٣١ - ص ١١١ سطر ١٩ « إن الأرض لم توجد الا منذ بليونين من السنين » وصحتها ٥ آلاف مليون سنة .

٣٢ - ص ١١١ سطر ١٠ « وان الحياة في أي صورة من الصور لم توجد الا قبل بليون سنة » وصحتها لم توجد قبل ٣ آلاف مليون سنة .

٣٣ - ص ١١٢ سطر ٢ « ان كوننا موجود منذ ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة » وصحتها ٥ آلاف مليون سنة .

٣٤ - ص ١١٢ الفقرة الثانية يجب أن تعاد صياغتها لأن العلم لا يعرف الصورة القاطعة « سطر ٦ » كما ان النظرية الواردة عن أصل الأرض ما هي الا أحد الفروض المطروحة وقد استحدثت فروض أخرى أكثر قبولا .

٣٥ - والفقرتين الثالثة والرابعة في ص ١١٢ وكذلك الفقرة الأولى والثانية في ص ١١٣ عن تقدير عمر الأرض يجب أن تعاد صياغتها لما بها من أخطاء علمية واضحة كتعريف عملية الاشعاع وكذكر أن التجارب أثبتت انه قد مرّ ١٤٠٠ مليون سنة على تجمد أقدم جبال الأرض علما بأن أقدم الصخور الظاهرة على سطح القشرة الأرضية قد حدد عمرها بحوالي ٣٦٠٠ مليون سنة وهي صخور جرانيتية تظهر في منطقة دودوما بجمهورية تانزانيا ، وان كوكبنا الأرض قد تحول من صورته الابتدائية الى صورته الحالية منذ خمسة آلاف مليون سنة وليست الفا مليون سنة .

الباب الخامس : دليل الآخرة :

عرف المؤلف الآخرة بأنها عالم آخر غير عالمنا الحاضر هو عالم الخلود بينما عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء وجد فيه الانسان لاجل معلوم ، وان الله سوف ينهي هذا العالم عندما يحين اجله وان الناس سيبعثون مرة اخرى وسوف تعرض اعمالهم خيراً او شراً على محكمة الله الذي يجزي كل انسان بما عمل في الحياة الدنيا . وفي ذلك بدأ المؤلف باستعراض :

أ - امكان حدوث الآخرة وقال ان فكرة الآخرة تقتضي اول ما تقتضي الا يكون الانسان والكون في شكلهما الحالي ابديين وقد اوضح في أبواب الكتاب السابقة ان ابدية الكون والانسان مستحيلة فالانسان يموت والكون سينتهي في وقت ما طبقاً لقانون الطاقة المتاحة ، وكما اخفقت كل المحاولات لدرء الموت عن بني الانسان فتخفق محاولاته للاحتفاظ بكونه من الفناء وليس أدل على ذلك من الكوارث الطبيعية والاختطار التي تتهدد أرضنا في كل لحظة من اللحظات كالزلازل والبراكين والعواصف والأعاصير وفي ذلك يستشهد الكاتب بقوله عالم الطبيعة الأرضية جورج جامو « ان هناك جهنم تلتهب تحت بحارنا الزرقاء ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان ، وبكلمة أخرى نحن واقفون على ظهر لغم (ديناميت) عظيم ومن الممكن ان ينفجر في اي وقت ليدمر النظام الأرضي بأكمله » . وان الزلازل الأرضية لدليل ناطق بأن خالق الارض قادر على تدميرها في اي لحظة يشاء ثم يضيف المؤلف ان مجرد تصور الانسان موضع الكوكب الذي يحيا عليه (الارض) والفضاء الكوني وما يدور حوله من مهالك ، والاشعة الكونية واحتمال التصادم بين الأجرام السماوية ، وارتطام النيازك ليؤكد فكرة الآخرة التي تقرر ان نظام الكون الموجود حالياً سوف يدمر يوماً ما ، فالقيامه حقيقة في اعماقنا مشاهدة أمام ناظرينا وهي تنتظر الارض ومن عليها في واقع الغد .

والمسألة الثانية التي تعرض لها هي فكرة الحياة بعد الموت وفي ذلك يستند المؤلف على ان بعثرة الذرات المادية في الجسم الانساني لا تقتضي على الحياة ،

فان الحياة مستقلة بذاتها باقية بعد بعثرة الذرات المادية وتغيرها ، فمن المعروف ان يجسم الانسان اكثر من ألف مليون مليون خلية يتبدل منها في كل ثانية ١٢٥ مليون خلية في المتوسط ولو حسبنا معدل التجدد في هذه العملية فسنجد ان الانسان يغير خلايا جسده بالكامل مرة كل عشر سنين تقريباً بمعنى ان فناء الجسد المادي يستمر ولكن الانسان في الداخل يبقى كما كان : شخصيته ، علمه ، عاداته ، حافظته ، امانيه وأفكاره تبقى كلها كما كانت ، انه يشعر في جميع مراحل حياته انه هو هو الانسان السابق الذي وجد منذ عشرات السنين ولا يحس بان شيئاً من اعضائه قد تغير ، ولو كان الانسان يفنى بفناء جسده لكان لازماً ان يتأثر بفناء الخلايا وتبدلها بالكامل وهذا في حد ذاته يؤكد ان حياة الانسان شيء آخر غير جسده وهي باقية رغم تغير الجسد وتحلله . وعلى ذلك فإن الشخصية تعرف بأنها عدم التغير في عالم التغيرات .

ب - ضرورة الآخرة : وبعد هذه المقدمة عرج المؤلف على ضرورة الآخرة فقال ان الحياة الآخرة ذات هدف عظيم هو المجازاة على اعمال الدنيا خيراً كانت ام شراً ويتضح ذلك حين تعلم ان اعمال كل انسان تسجل وتحفظ بصفة دائمة وبغير توقف ، وان للانسان ابعاداً ثلاثة يعرف من خلالها هي نيته وقوله وعمله ... وهذه الابعاد الثلاثة تسجل بأكملها في الفضاء الكوني فكل خاطرة تخطر على بال ، وكل حرف يتحرك به اللسان وكل عمل يصدر عن عضو من الأعضاء يسجل في الأثير (اي الفضاء) ، ويمكن عرضه في اي وقت من الأوقات بكل تفاصيله ليعرف الانسان كل ما قدمت يداه في هذه الدنيا .

وكما تسجل اعمال الانسان في الاثير فهي أيضاً تنقش في صفحة اللاشعور فلا نزول إلى الأبد ولا يؤثر فيها تغير الزمن ، ويحدث هذا على الرغم من الارادة الانسانية ، وهذا يؤكد بكل صراحة امكان وجود سجل كامل لاعمال الانسان في حياته عندما يبدأ حياته الآخرة ، فوجوده نفسه سوف يشهد على أقواله وأعماله ونياته . هذا بالاضافة إلى ان اجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل

لأقوال الانسان واعماله وتفكيره بدقة فائقة وإلى الابد فكأننا نعيش أمام الات
تصوير وتسجيل دقيقة تعمل بلا انقطاع ولا تفرق بين ليل او نهار وجميع
اعمالنا واقوالنا وافكارنا تسجل بدقة تامة وانها سوف تعرض امام المحكمة
الالهية والتاريخ يدلنا على وجود الحاجة إلى الاخرة كغريزة انسانية منذ
اقدم العصور فان تطلع الانسان نفسه إلى عالم اخر لدليل في ذاته على
أن شيئاً مثل ذلك موجود في الحقيقة التي اعدت هذا النظام العظيم لتحضير
الشهادات التي لا يمكن تزويرها .

ج - الحاجة الى الآخرة : ثم عرج المؤلف إلى الحديث عن الحاجة إلى
الآخرة ، عن ضرورة نفسية وضرورة أخلاقية حيث لم يخلق هذا العالم ليكون
مسرحاً للمآسي والهمجية والقرصنة ثم لا يلقي الظالم والمظلوم جزاءهما وفاقاً ،
ضرورة السلوك ، اذ ان حاجتنا الملحة إلى الاخرة لتنظيم الحياة واقامتها على
أسس عادلة حقيقية هي في حد ذاتها تأكيد بأن الاخرة من كبريات حقائق
الكون ، ثم الضرورة الكونية لتفسير حكمة الخلق نفسها وضرورة عمران
الأرض ثم الشهادة التجريبية أو كما يقول المؤلف ان أول دليل على الحياة الثانية
هو حياتنا الأولى في حد ذاتها فامكان حدوث الحياة الاخرى اقوى نظرياً من
حدوث الحياة الاولى ، ثم البحث النفسي وأساسه اللاشعور الذي لا يدرك
العلم له وجوداً محسوساً فلو كان منقوشاً على الخلايا كالصوت مسجلاً على
الاسطوانات فان تلك الخلايا التي سجلت ذلك الحادث قبل سنين قد تحطمت
وتبدلت ولم تصبح لها علاقة بالجسد الموجود الان وهذا في حد ذاته شهادة
تجريبية تثبت ان هناك عالماً آخر خارج اجسامنا المادية مستقلاً بذاته ، ولا يفنى
بفناء الجسد جزئياً أو كلياً ، وكذلك البحوث الروحية والتي تؤكد ان الشخصية
الانسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة لا نعلمها مما يؤكد
ان الحياة بعد الموت واقع حقيقي وفي ذلك يقول الدكتور دو كاس « ويتضح
من هذا ان عقيدة بقاء الحياة بعد الموت - التي يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة

دينية — ليس من الممكن ان تكون واقعاً فحسب ، وإنما لعلها هي الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن اثباتها بالدليل التجريبي ... »

الباب السادس : اثبات الرسالة :

ذكر المؤلف ان من العقائد الهامة في الدين ، بعد الايمان بالله ، الايمان بالرسالة (او الوحي والالهام) ومعناها ان الله تعالى ينزل كلامه على انسان يختاره من بين الناس ليخبرهم بما يرضيه سبحانه وتعالى وللتدليل على ذلك ذكر ان كثيراً من الوقائع التي تجري من حولنا نعجز عن ادراكها بواسطة حواسنا بينما يستطيع العلم ان ييسر لنا ادراكها بفضل الاختراعات الحديثة التي تمكننا ان نسجل صدام الاشعة الكونية في الفضاء مثلاً . وكان اختراع هذه الأجهزة الدقيقة استنباطاً مما تتمتع به بعض المخلوقات الحيوانية من أجهزة غاية في الدقة فهناك كثير من الحيوانات تستطيع ان تسمع موجات صوتية لا تدركها حاسة السمع في الانسان وهو ما يسمى بقوة الاشراق . وهنا يستدرك الكاتب فيقول « واذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة في « قول انسان انه يسمع صوتاً من لدن ربه لا يدركه عامة الناس » ويضيف « ان الله تعالى — لحكمة يعلمها — يرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلى الانسان المختار للرسالة بعد ان يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها » ويستخلص المؤلف انه لما كان الانسان يستطيع تحويل الافكار بأكملها إلى انسان آخر على بعد غير عادي منه وبدون استعمال اي واسطة مادية ظاهرية ، فلماذا تستحيل هذه العملية بين الاله وعباده ... !!! ان الاشراق امر معروف لدى الناس وهو يدلنا على فهم النظام الاشراقي العظيم بين الاله والعباد ، والذي يكون في اكمل صورة حين يبلغ درجة الوحي الذي يمكن وصفه بأنه اشراق كوني من نوع الاشراقات التي نعهدها في حياتنا على مستويات محدودة .

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن ضرورة الرسالة فقال ان اكبر دليل على ذلك هو ان الامر الذي يخبر عنه الرسول من اهم ما يتعلق بحياة الانسان ومصيره

وهي من الحقائق التي لم يستطع الانسان ان يهتدي اليها بجهوده الشخصية وفي هذا اكبر دليل على ان الانسان في حاجة إلى هدى الله .

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مقياس الرسالة فقال ان من أعظم الأدلة على صحة دعوى نبوة سيدنا محمد ﷺ أنه رجل مثالي بصورة غير عادية وهذا طبيعي لأن الذي يصطفى ليكون كليم الله وليكشف للانسان دوره في الحياة لا بد ان يكون أسمى شخصية في النوع الانساني كما لا بد ان يكون حاملاً مثل الحياة العليا . فاذا كانت حياته الذاتية متصفة بكل ذلك فهي أكبر دليل على صحة ما يقول ثم ان كلامه ورسالاته صلوات الله وسلامه عليه مملوءتين بجوانب يستحيل حصولها للانسان العادي ، ولا يمكن لبشر محاكاتها وفي ذلك يقول الدكتور لتر « انني لأجرؤ ، بكل أدب ، أن أقول : ان الله الذي هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها ، لو كان يوحى إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي ، ولو كانت آيات الايثار ، والامانة والاعتقاد الراسخ القوي ، ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل ، هي الشاهدة على الالهام ، فرسالة محمد هي هذا الالهام » .

الباب السابع : القرآن صوت الله :

يقول المؤلف ان الكتاب الذي جاء به صاحب الرسالة مثبتاً أنه منزل من عند الله يفيض بما يدل صراحة على انه ليس بكلام انسان وانه حقاً وحي من الله واستدل على ذلك باعجاز القرآن من النواحي اللغوية والتاريخية والعلمية فمما لا شك فيه ان العرب - وهم الذين لم يعرف لهم مثل في التاريخ ، في البلاغة والبيان قد ركعوا أمام القرآن معترفين بعجزهم عن الاتيان بمثله فلزمتهم بذلك الحجة ومن الناحية التاريخية لا نجد غير القرآن الذي تحققت نبوءاته حرفاً حرفاً وهذا الواقع وحده يكفي لاثبات ان هذا الكلام صادر عن عقل فوق الطبيعة يمسك بزمام الأحوال والحوادث وهو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الازل وإلى الأبد وفي ذلك يشهد المؤلف بالآيات الكريمة « كتب الله لا غلبن انا

ورسلي » ، « يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » . « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . وهي نبوءات بانتصار المسلمين جاءت في وقت كانوا فيه في أسوأ أحوالهم مكشوفين في عراء المدينة المنورة ، يترقبون الاعداء من كل جانب . وكذلك الآية الكريمة « ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » .

ومن مزايا القرآن الكريم التي تشهد بأنه وحي من الله العظيم هي أنه على الرغم من نزوله قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة فإن جميع الاشارات العلمية التي وردت به صحيحة غاية الصحة ، دقيقة غاية الدقة يبدو اعجازها بازدياد الكشوف العلمية ولم يستطع احد على مر التاريخ ولن يستطيع اثبات اية أخطاء علمية فيه علماً بأن أعمال العلماء المتخصصين والبارزين في تخصصاتهم لا يكاد ينقضي عليها بضع سنين حتى تتكشف عيوبها ويتضح قصورها وتبين جوانب النقص بها .

في ذلك يقول المؤلف ان من آيات القرآن الكريم ما عرف عنه الانسان — حتى ذلك العصر — أموراً جانبية وسطحية ومنها ما لم يعرف عنه شيئاً ، وعلى ذلك فإن مطابقة كلمات القرآن والفاظه لكثير من الكشوف العلمية الحديثة مفاده ان العلم الحديث قد استطاع الكشف عن اسرار الواقعة موضوع البحث ، فتوفرت لدينا أفكار نافعة لتفسير الاشارات القرآنية في ذلك الموضوع ولو ان دراسة المستقبل في موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كلياً أو جزئياً فليس هذا بضائر صدق القرآن بل معناه ان المفسر قد أخطأ في محاولته لتفسير اشارة مجملة في القرآن . ويقول المؤلف انه لعل يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة ستكون اكثر ايضاحاً لاشارات القرآن واكثر بياناً لمعانيه الكاملة .

واستشهد في ذلك بعدد من الآيات القرآنية واستنتاجاتها العلمية في كثير من المجالات واتفاق ذلك مع أحدث الكشوف العلمية وأدقها .

ومن الأخطاء التي وردت في هذا الباب :

١ - ص ٢١١ ، سطر ١٤ ، ١٥ « ويبقى الماء عذبا تحت الماء الأجاج »
والحقيقة أن الماء العذب أقل كثافة من الماء المالح ولذلك يطفو على سطحه لا
يوجد تحته .

٢ - ص ٢١١ ، سطر ٢١ « قانون المط السطحي » وصحته التوتر
السطحي .

٣ - ص ٢١٥ الفقرة الأولى تمثل إحدى النظريات الواردة في هذا المعنى
وهي كثيرة ومنها ما هو أحدث من تلك النظرية التي أوجزت وربما كان من
الأنسب سرد النظريات كلها أو على الأقل أحدثها . وقد ورد في هذه الفقرة ما
يلي « وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة
على الأقل » بينما يثبت العلم الحديث أن العناصر في مجرتنا قد تكونت في الفترة
من ٧٠٠٠ الى ٦٥٠٠ مليون سنة مضت وأن الشمس قد تكشفت على هيئتها
الحالية منذ ستة آلاف مليون سنة وان الكواكب الابتدائية قد تحولت الى
كواكب عادية (ومنها أرضنا) منذ حوالي ٥٠٠٠ مليون سنة مضت . وفي
الفقرة الثانية يذكر المؤلف « ويعتقد العلماء أن دائرة المادة كانت ألف مليون سنة
ضوئية في أول الأمر وقد أصبحت هذه الدائرة الآن كما يقول البروفسور
إدينجتون عشرة أمثالها وهذه العملية من التوسع والامتداد مستمرة دونما توقف
وفي الحقيقة اذا رجعنا بعملية الاتساع هذه مع الزمن الى الوراء بعملية معاكسة
لسرعة انتشار المجرات وتشتتها في الفضاء يثبت انها كانت كلها في الماضي
البعيد متقاربة من بعضها وان المسافات بينها تقل كلما تقادم بنا الزمن حتى نصل
الى الحزم الأول الذي احتوى على كتلة وطاقة الكون الذي نراه الآن لاجتمعت
في حجم لا يتجاوز أكثر من ثلاثين مرة حجم الشمس وبكثافة تقارب ٢٥٠
مليون طن للمستمر المكعب .

٤ - ص ٢١٨ ورد عنوان علم طبقات الأرض وصحته علوم الأرض .

- ٥ - ص ٢٢٠ سطر ١٩ « وكأن نجد فيها دواب وأسمكا ونباتات »
والصحيح بقايا كائنات حيوانية ونباتية .
٦ - ص ٢٢٢ الأرقام الواردة على الخرائط غير دقيقة .

الباب الثامن : الدين ومشكلة الحضارة :

وفيه يثبت المؤلف ان البشر لا يستطيعون وضع دستور لهم بدون هدى من الله ويستشهد في ذلك بقول الدكتور فريدمان « لا بد من هداية الدين لتقيم المعيار الحقيقي للعدل . والاساس الذي يحمله الدين لاعطاء العدل صورة عملية ينفرد هو به في حقيقته وبساطته » . ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى مصدر التشريع فيقول ان مصدر التشريع هو الله وحده خالق الكون فالذي أحكم قوانين الطبيعة هو وحده الذي يليق به ان يضع دستور حضارة الانسان ومعيشته ، وليس هناك من أحد غيره سبحانه يمكن تخويله هذا الحق فلا يمكن قبول انسان حاكماً ومشرعاً للانسان حيث انه لا يتمتع بهذا الحق الا خالق الانسان وحاكمه الطبيعي الله . وينتقل بعد ذلك إلى العناصر الأساسية للتشريع فيقول ان الحل الوحيد لمشكلتنا هو الشرع الالهي الذي يمنحنا جميع العناصر الأساسية الضرورية ويترك الباقي مفتوحاً للاجتهاد بحسب الزمان والمكان ، والتشريع الالهي لا يستطيع الانسان أن يأتي ببديل عنه .

وبعد ذلك ينتقل إلى تحديد مفهوم الجريمة والقانون والاخلاق ويتحدث عن القانون والفرد ، والقانون والعدل ثم يعرج على موضوع المرأة والمجتمع ثم يتحدث عن قضية التمدن والمعيشة ويوجز ذلك كله بقوله ان التجارب القاسية التي خاضتها البشرية تؤكد لنا ان الله الذي يعرف دقائق الطبيعة البشرية ويفهم عمق مسائلها ومشكلاتها يجب ان يكون هو ولا سواه واضع قوانينها فهو منبع القانون الحقيقي ويؤكد ذلك أن في الدين جواباً محدداً لكل الاسئلة التي تؤرقنا في حياتنا الدنيوية وفي ما بعد هذه الحياة الدنيوية . انه يوجهنا إلى المشرع الحقيقي ويضع لنا الاساس السليم للقانون الالهي وهو يمنحنا اساساً صائباً لكل

مسألة في الحياة البشرية وهو الصورة الوحيدة للمساواة الكاملة بين الحاكم والرعية ويهيء الأساس النفسي الذي يصبح القانون بدونه بلا فائدة كما يخلق لنا ذلك المناخ المناسب الذي لا بد منه لتطور أي مجتمع تطوراً حيوياً وفعالاً .

الباب التاسع : الحياة التي ننشدها :

بصور المؤلف في خاتمة مطافه صورة الحياة التي ننشدها فيقول ان الحالة التي تنعدم فيها الطمأنينة والاستقرار لدى القلوب المحرومة من رحمة الله ليست مسألة أيام هذه الدنيا المؤقتة وسنيها ، وانما هي اهم من ذلك بكثير ، أنها مسألة ازلية وأبدية ، تتمثل فيها اثار الحياة المعتمة الخالكة التي يقف عليها هؤلاء ، انها البادرة الاولى لحياة الحق الابدية التي سوف يواجهونها بعد موتهم ... انها أجراس التنبيه الاولى في حياتهم تنذرهم بالاحوال الرهيبة والظروف المردعة التي تنتظرهم ... !!

واختتم كتابه بجزء من حديث كريسبي موريسون الذي يقول فيه « ان الاحترام ، والاحترام والسخاء وعظم الاخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره نفحات الهية - لا يمكن الحصول عليها عن طريق الاحاد ، فالاحاد نوع من الانانية حيث يجلس الانسان على كرسي الله. لسوف تقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين ، سوف يتحول النظام إلى فوضى سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك بالقيم ، سوف يتفشى الشر في كل مكان ، انها الحاجة ملحة أن نقوي من صلتنا وعلاقتنا بالله » .

تعليق :

على الرغم من أن الكتاب لم يخل من بعض الأخطاء العلمية والتي سبق أن أشرنا إليها بإيجاز خلال العرض السابق . الا أنه يعتبر فتحاً جديداً في أسلوب مخاطبة العقل البشري في عصر طغت فيه المادة وبعد فيه الناس عن طريق الله وفتنوا بما حققه العلم والتقنية الحديثة فتنة كبيرة سواء كان ذلك في الغرب أو

الشرق . ففي الغرب كان فشل الكنيسة في اقناع الناس سببا في الموقف العدائي الذي اتخذته عدد كبير من الكتاب والمفكرين من معاني الايمان وفي الشرق كان تخلف المسلمين علميا وتقنيا سببا في فتنة بعضهم بالانجازات العلمية الحديثة كما كانت سببا رئيسيا في ندرة العالم المسلم الذي يكتب في مجال تخصصه انطلاقا من قاعدة الايمان ولذلك عاش المسلمون في هذا العصر على فئات موائد الفكر الغربي فجاءت كتب العلوم والفنون في أغلب الأحوال ترجمة مشوهة للفكر الغربي الذي ينطلق في أساسه من قاعدة مادية بحتة ، وضاع وسط هذا البحر الزاخر من البلبلة الفكرية والتشويه والتحريف المقصود وغير المقصود كثير من المفاهيم الأساسية التي حققها العلم الحديث في اثبات عظمة الكون وعظمة خالقه واثبات ان لهذا الكون بداية وأنه لا بد ان ستكون له في يوم من الأيام نهاية وان هذا الكون كله على دقته وعظمته واتساعه محفوف بالمخاطر وأنه لولا رحمة هذا الخالق العظيم الذي خلق هذا الكون على أدق صورة وأروعها ، ولولا رعايته لنا ولكل ما في هذا الكون من وجود هلكنا وهلك كل ما حوالينا . هذه حقائق أكدها العلم الحديث بما لا يرقى اليه شك كما أكدتها الفطرة السوية والمنطق السليم ، ولم يبق الا أن يحمل مشاعلها أناس يؤمنون بها ويفهمونها حق فهمها ويحملونها الى الناس بلغة العصر ... وهنا يأتي كتاب « الاسلام يتحدى » خطوة على الطريق أرجو أن تتبعها خطوات فترى كتب العلوم والفنون والآداب التي يدرسها طلابنا في المدارس والمعاهد والجامعات والتي يتداولها عامة الناس وخاصتهم على حد سواء تبنى على هذا الفهم الايماني العميق وتنطلق من منطلقه وحينئذ سوف يتربى الشاب المسلم والفتاة المسلمة على مفاهيم حقة ويتجنب الجميع ما يعانونه الآن من تشتت نفسي بين ما أشبعت به نفوسهم في بيوتهم ومجتمعاتهم المسلمة وبين ما يلقنون من فكر غربي مستورد أساسه الاتحاد ومنطلقه أبعد ما يكون عن الايمان .

ويوم أن نتمكن من ايجاد الكيميائي المسلم والفيزيائي المسلم والجيولوجي المسلم والمهندس المسلم والطبيب المسلم ... الخ .. ويوم أن يفهم كل من هؤلاء

تخصّصه من منطلق إيماني ويكتب فيه من هذا المنطلق بلغة العصر ومنطقه
سيفتح الله بهم أرجاء العالم شرقه وغربه فإن الأصل في النفس البشرية الخير
وان هذه النفوس الظمأى في مختلف أنحاء العالم لتتطلع الى رواد مسلمين جدد
ينبغون في علوم العصر ويحملون بيد أفكاره وباليد الأخرى يحملون مشعل
الإيمان

وجزى الله الكاتب المؤمن والمترجم الصادق والمراجع الأمين خيرا على
هذا الجهد الطيب الذي أرجو أن يكون بداية تتبعه جهود أشمل وأكمل وأتم
والله من وراء القصد وهو الموفق وبه نستعين .